

## الوجوه الخلفية لقرية كبيرة

# صفاقس «عاصمة الثقافة العربية»؟

ليست المدينة هي ما يكتبه المؤرخون عنها، بل هي كل ما تدوّته الذاكرة الجمعية، وهي «نوع من الكتابة ضدّ تاريخ المؤرخين» كما قيل. أي أنها ذلك «التاريخ الحي» المموس والمتنوع، المتثور بين ثغايا التاريخ الرسمي. المدينة تغدو على هذا النحو فضاء ديناميكياً في حالة تحول دائم، وهي كذلك الفضاء الذي تتجدّر فيه ذاكرة المجموعات والأفراد وممارساتهم اليومية.

**هوية جماعية مجروحة**

هذا الأمر هو ربما ما غاب عن افتتاح ظاهرة «صفاقس عاصمة الثقافة العربية 2016»، التي غلبت عليها اللغة الخشبية ليبروقراطيين مثلتهم وزيرة الثقافة، وسادتها «الزّعة الفلكلورية للثقافة» التي يغلب عليها الطابع السياحي، وهو ما جعل جزءاً كبيراً من سكان صفاقس، عاصمة «الجنوب التونسي»، يشعرون بالإحباط وخيبة الأمل، حيث بدا افتتاح الظاهرة بلا روح، لأنه لم يبرز تنوّع المدينة وثراءها الثقافي ماضياً وحاضراً، ممكفاً بذلك «هوية جمعية مجروحة»، فأهل المدينة يعتبرون أن مدينتهم منسية ومضطهدة من قبل السلطات المركزية بسبب تاريخها النقابي العمالي، حيث تقول القاعدة إنه «حين تغضب صفاقس يسقط النظام»، لوجود فئات عمالية واسعة، وطبقة متوسطة كبيرة، وتاريخ نقابي طويل. حتى أن مؤتمر الحزب الدستوري العام 1934 انعقد في صفاقس، وساند فيه النقابيون بوقرية ضد اليوسفيين. وقد كان دور المدينة حاسماً في إسقاط نظام بن علي..

وعلى ذلك، تكمن مفارقة ظاهرة «صفاقس عاصمة الثقافة العربية 2016»، كحدث ثقافي إقليمي ينتظم في ظل «التجربة الديمقراطية»، في أنها لم تمنح لصفاقس «روح المدينة»، وكان لا شيء يحدث. فالشوارع التي نظفت على عجل (مثلما يحدث في المناسبات التي يزور فيها كبار المسؤولين الجهات) عادت إلى اتساخها، والداخل الرئيسية لا توجي للزائر بأنه يدخل «عاصمة الثقافة العربية»، فقط أعلام الدول العربية المرفوعة في مركز المدينة هي ما يوحي أن ثمة شيئاً يصدد الحوادث.

**صفاقس.. هل هي مدينة؟**

تبدو صفاقس مدينة مفارقة وملتبسة، فهي عاصمة «الجنوب التونسي» وعاصمة البلاد الاقتصادية وذات حجم ديمغرافي يفوق المليون ساكن (من أصل 11 مليوناً)، وتمتلك أطول شريط ساحلي في تونس، إضافة إلى نسيج صناعي وفلاحي متنوع، وتحتل سنوياً المرتبة الأولى في نسب النجاح في البكالوريا على المستوى الوطني.. إلا أن زائرها لا يعثره الشهور أنه يدخل «العاصمة الاقتصادية للبلاد»، فالبنية التحتية ممثلة بطرقا متهدئة ورثة ما يؤدي إلى الاختناق المروري الدائم، في حين يتآكل أسطول النقل العمومي ممثلاً بحافلات الشركة الجهوية للنقل التي لا تلتزم بمواعيد الرحلات فيضطر الكثير من تلاميذ الأحياء الفقيرة المحيطة بالمدينة إلى التأخر عن مواعيد الدراسة، وينتشر باعة البئزين المهرب على طول الطرقات المؤدية إلى مركز المدينة، ويستعمل جل السكان التاكسي الجماعي الذي يرفض بعض سائقيه شروطهم أوقات الذروة، وتغيب المناطق الخشراء عن مدينة يواجه سكانها مضلة التلوث البيئي بفعل «المجمع الكيميائي التونسي»، أكبر مصانع تحويل الفوسفات الآتي من مناجم مدينة قفصة المجاورة، إضافة إلى عدد من المصانع الأخرى التي يتعرب أصحابها من مسؤوليتهم البيئية بذريعة تحريك الاقتصاد، وهو ما حول الشواطئ إلى أماكن تمنع فيها السباحة، وتغيب كذلك المشاريع العمومية الكبرى هنا، وأخرها كان في ثمانينات القرن الفائت وتعلق بحزام بوقرية لحماية المدينة من الفيضانات.. ما لا يمنع تحولها إلى مستنقع كبير عند نزول الأمطار الشتوية، وحتى منظومة الحماية المدنية متخلفة، وغير ملائمة لحجم مدينة صناعية، فقد احتاج إخماد حريق شب في أحد المصانع إلى دعم من المحافظات المجاورة..

# 1

أمضى جنوب السودان السنوات الخمس من عمر استقلاله في صراع مسلح، فهل يوضع تحت وصاية دولية؟ وفي سوريا تغيب السياسة عن الإنتاج الدرامي على الرغم من طغيانها على الواقع؛ فصام؟

## 2

إستراتيجية «العموم» لإدارة العراق: طفح كيلهم فطوروا تصورا لبلادهم.. المصائب راكمت الوعي! وفي «فكرة» مشروع قانون وتونس لحماية المرأة من العنف ومن التمييز؛ متقدم ولكنه حق.. وفي «بيتونة الشيخ والكمنجة»..

## 3

العدالة الاجتماعية: مغيبة، ولكنها الحل. و«بالف كلمة»: مشاهد لأمازيغ المغرب. وفي المدونات نداء من مصر لجمع دليل للمساجين، وعلى الموقع بورترية لصحافيات ومصورات من مصر، وطقوس الزواج بالجزائر..

## 4

مع فكرة المواطنة ومع فكرة المدينة كفضاء للعيش المشترك. ولا تزال تسود في صفاقس الثقافة المحافظة التي تحدّد الأفراد وفق انتماءاتهم العائلية، كما أن البنى الأولية هي المحدّدة لسلك الفرد وهي تضغط عليه. ولهذا فلا يتمتع الباحثون عن ممارسة فراديتهم في صفاقس بـ«شعور الحرية» الذي يميّز المدينة (وفق الفيلسوف الألماني هيجل)، فيضطرون إلى ممارستها على نحو سري.. صفاقس تبدو بمثابة «القرية الكبيرة» والمدنية ذات «الوجه الخفية»، التي تخنق ساكنيها وتشعرهم بالحقق الدائم.

**تشظّي الفضاء العمراني وتنامي الإقصاء الاجتماعي**

لم تعد صفاقس «بلاد الزوالى» (تعني بالهجمة كل من هو فقير وله دخل محدود) أي مدينة الطبقات الفقيرة والمتوسطة التي يلجأ إليها نازحو المناطق الداخلية الفقيرة. فقدرتها الإدماجية تتراجع بفعل عوامل عدة أبرزها انخراط الاقتصاد المحلي في منظومة الاقتصاد العولم، مما أدى إلى إغلاق أكثر من نصف مصانع النسيج والأحذية، بالإضافة إلى تنامي قطاع «الاقتصاد اللائقابي» الذي أدى إلى إغراق السوق المحلية بالسلع المهربة بثمن بخس والتي تتلامع مع القدرات الشرائية للفئات الفقيرة. وقد انعكس هذا الأمر على المجال الجغرافي فتحوّلت صفاقس إلى مدينة متشظية مجالياً، حيث تنتامي على أطرافها أحياء السكن العشوائي والفوضوي الذي



اسماعيل الخياط - العراق

# عن مخطوطنا العربيّ وتماسات الوعي بالتراث

برمنغهام البريطانية، وأن تحليلاً بأشعة الكربون قد أشار إلى احتمال أن يكون الأقدم، وأن كاتبه هو في الأرجح معاصر للنبّي. بقي النصّ القرآنيّ، نظراً لمستويات التحصين التقديسي، نصّاً آمناً في بيئاته المحافظة ومجلاتها. على أن تحقيقات النصوص العرفية التراثيّة الثأوبية التي اجتهد المستشرقون في تحقيق أغلبها، دخلت مجالات التأويلات العقلانيّة التنويرية، وهي مجالات تأسست في مجملها على مركزية العقلانيّة العلمية الغربية في نظرتها إلى هذا المخطوط أو ذلك كسجال لبناء الآخر، بما يتيح الهيمنة من خلال إقامة الآخر في مربع الهيمن عليه.

في وقت سابق من العام، حددت مكتبة تلك الجامعة موعداً للراغبين بزيارة معرض يتاح فيه مخطوط القرآن الأقدم المكتشف حديثاً، يأخذ توافد الراغب العربي إلى المعرض بعداً استيطانيّاً، إذ لا تكون الزيارة إلا شكلاً من أشكال الدخول في ذلك البعد المحجوب للحاضر/ الغائب الذي خط تلك الكلمات المتقدمة المؤسّسة في حُصرة منبثى النصّ ربما. في الظاهر، لا يستبعد دارس المخطوط العربيّ ذلك المستوى من دراسة النصّ أو مجمل نصوص الحضارات القديمة، وإن كان النصّ العربيّ مؤسساً على فكرة الاعتناء الشكلائيّ الفنّيّ بالغة كحامل للوحي، بمستوى الاعتناء بالضامين والتفسيرات.

**شعورياً وجماليّاً**

يقيم المخطوط العربيّ الفرد المتلقي في مجال شعوريّ بدهيّ من الحميميّة، يعكس هذا المجال الشعوريّ مستوى من جدالات الهوية. الهوية المتصلة برهان الوعي بالتراث في الثقافة العربيّة. تشبّك

الحميمية بمجمل الحساسيات التي تتصل بالسلطة العربيّة المتقدمة على مجالات الإنتاج العرفي في ما يسمى «العصور الوسطى». وفي سياق مواز، يستدرج اشتغال الأكاديميا الغربية على ترتيب المخطوط ونشره في مواقع الشبكة تبعاً للكليات، ودراستها بدقة وعناية وإقامتها في منظومة شائكة من التعريفات والإحالات إلى الهوامش والمصادر، يستدرج وعياً فننياً مضافاً إلى حميميّة الشعور البيديهي.. وعياً بجمالية الدقة والجمالية الناشئة من طرائق الرسم والتخطيط التي اكتسبت في الزمان - فوق كونها إرثاً حضارياً - أبعاداً فنية تحيل إلى مستويات من الالتباس الفردي الشعوري في التعامل مع مادة ثمينة من هذا النوع. هكذا، يكتسب مخطوط كتاب (علميّ أو أدبي أو فلسفيّ..) قيمته المضافة جمالياً من واقعة وجوده الفعليّ أولاً، ومن كونه مادة افتتان وموضوعة راهنة للعناية حفلاً وتوأيل تالياً. يغدو المخطوط صفحة صفحة، ترفيقاً أو جمعاً، سلسلة جمالية من اللوحات.

يتجوهر المخطوط ، بالضرورة، في البيئة الأكاديمية المناسبة. وهذا حال المخطوط المنتشر على مواقع الإنترنت ذات الصلة بالجامعات الغربية الكبرى والمتاحة للدارسين. في حين تتكدس المخطوطات العربيّة في البلدان العربيّة والإسلامية، أي مواطنها الإصليّة، بكم قد يفوق تلك المحفوظة في الأكاديميا الغربية. على أنها واقعة في بيئة تفقر إلى المستوى المطلوب من الوعي بالغرّي العام له من ضمن السياقات الثقافية الكبرى. وهذا ما يحيل إليه غير دارس من المستشرقين أو زائرٍ إلى المعاهد الغربية، في الشكوى من فقر الجهود لتحقيق مخطوطات كثيرة ومتفرقة ومحفوظة في مكتبات الشرق وتحتاج إلى جهود مضاعفة شاقّة للتعامل

**صفاقس مدينة إخوانية؟**

على خلاف ما كانت عليه في سبعينيات وثمانينات القرن الماضي، عبر حركتها الثقافية ونشاطات نخيها الطليعية الفاعلة التي ساهمت في تأسيس أهم «ملتقى سينمائي للجنوب» في إفريقيا والعالم العربي، أدى تربيّث» المدينة وتهاوي قدرتها الإدماجية اجتماعياً واقتصادياً، إلى تحوّلها إلى أهم معاقل تيار الاتجاه الإسلامي الذي تمثّله حالياً «حركة النهضة» وجل أصول قادتها التاريخيين منها. وحققت فيها حركة النهضة فوزاً كاسحاً وصل إلى سبعة نواب خلال انتخابات المجلس التأسيسي في تشرين الأول/ أكتوبر 2012، كما في انتخابات 2014 حيث تصدر إسلاميو المدينة قائمة الفائزين. في حين هزمت القوى اليسارية على الرغم من الطابع العمالي للمدينة ووجود نقابات قوية، فخطاب الإسلاميين المحافظ يتلاءم مع النزعة المحافظة القائمة هنا. بالإضافة إلى هذا، لاقى الإسلاميون دعماً كبيراً من رجال الأعمال والبازار التجاري للمدينة الذي يهيمن عليه تجار صغار ومتوسطون كونوا ثروتهم في ظل اقتصاد التضامنت العائليّة الذي خرج من رحم الصناعات التقليدية واليدوية المنتشرة في المدينة العتيقة، وصفاقس، على خلاف بعض المدن الداخلية، تمنع بقيادات إخوانية دينيّة بين أئمة الجوامع إلى الحد الذي صار فيه «جامع سيدي اللخمي» أكبر مساجد المدينة، محل نزاع سياسي في 2015 بين داعمي إمامه المنتمي لحركة النهضة وبين بعض منظمات المجتمع المدني ذات التوجه اليساري الداعية إلى تحجيد المساجد. ففي اللحظة التي قررت فيها السلطة حينها «عرل الإمام»، أصرب المصلون عن «صلاة الجمعة» وخرجوا في مظاهرة حاشدة لدعمه، ويستغل الكثير من رجال الأعمال الحليين قوة حركة النهضة في المدينة لخدمة مصالحهم، حيث يتحالفت في صفاقس الديني والاقتصادي والسياسي.

في ظل هذا السياق، يتنكس الإبداع في المدينة ويتقلص الحركة الثقافية كشأن مواطني ومجتمعي من الممكن أن يولد فضاء للعيش المشترك والممارسة التي تدعم الديمقراطية.. صفاقس تحتفل إذاً بالثقافة العربية بوجوده وبخطابات وبادوات قديمة..

.. لهذا كله، كانت البدايات فاشلة.

**فؤاد غربالي**

باحث في علم الاجتماع من تونس

معها أو وضعها في السياق الصحيح.

وجود شطر وازن من المخطوطات العربيّة الثمينة في الجامعات الغربية يساهم بقدر كبير في أشكلة سؤال الهوية العربيّ. هذه المحايقة ليست وجوداً محايداً في المكان / الآخر «المنفوّق»، أدواتاً وقدرةً على إقامة مجالات رمزيّة من التفسير، بل هو بشكل ما استلاب يعيد تفتيح مجمل الإشكالات الهويةيّة التي تتصل بموقع الأكاديميا الغربية في الذهنية الفردية العربيّة الراحنة.. وتمتصّل بمغزى وطبقات معرفتنا الأثاميّة بالمنتج التراثي العربيّ.

في الخلاصة، ينتمي المخطوط العربيّ كمنتج حضاريّ، وفي مستوى من مستوياته، للتراث الإنسانيّ العام. الإشارة إلى جانب من حضارة العرب (الصلة بالمخطوطات) هو بالضرورة طاقة محجوبة تستدرج الحاجة للرؤية إلى المادّة التراثيّة العربيّة لا كقطعة أثرية جامدة مركونة، بل كحاجة هويّاتيّة تدخل في مجمل أسئلة الراهن وتكوينات الوعي المركّب باللغة والتعبير والاستحضار الإيجابي لمستويات بالغة الثراء من تراثنا الضخم.

تعرض الفارّي على موقع «السفير العربي»، مثلاً لا حصراً، رابطاً من الشبكة فيه ترتيب لصفحات كتاب «عجائب الخلوقات وغرائب الموجودات» لأبي زكريا القزويني، من محفوظات متاحف وجامعات بريطانيا، هارفرد وكامبريدج على وجه التحديد.

**حسن نصّور**

كاتب من لبنان

**نهلة الشهال**

كاتبة من لبنان

## الرمال المتحركة في جنوب السودان



ابراهيم صليحي - السودان

يبدو أن الجامعة العربية تعتمد إيجاباً صيغة تسمح لجنوب السودان بالانتماء إليها. وهي ترى أن هذه الدولة الجديدة التي انفصلت عن أمها السودان قبل خمس سنوات تعتبر الأقرب إلى العالم العربي، إلى جانب سيادة اللغة العربية فيها لدرجة أنها أصبحت لغة التخاطب المشتركة بين جمع القبائل المختلفة في جنوب السودان. على أن وضعية المراقب الخاص التي يخطط الأمين العام للجامعة لتجاوزها الشهر المقبل تواجه عقبات عديدة، على رأسها أن مستقبل استمرار جنوب السودان كدولة مستقلة ذات سيادة أصبح محل تساؤل. فهي في حالة حرب داخلية مستعرة منذ أكثر من 30 شهراً حتى الآن، وهي حرب إلى جانب كلفتها الإنسانية العالية والدمار الاقتصادي والاجتماعي الذي تُحدثه، أصبحت تدفع باتجاه مزيد من تفتيت البنى السياسية ببعدها القبلي، خاصة في معسكر المعارضة. وتزايد المؤشرات على إمكانية حدوث مواجهات بين حكومة جنوب السودان من جهة والمؤسسات الإقليمية، مثل منظمة «الإيقاد»، التي رعت اتفاق السلام الهش بين الفرقاء، والاتحاد الأفريقي، وحتى الأمم المتحدة وبعثتها المسؤولة عن حفظ السلام من الجهة الأخرى. وهذه الصورة الكئيبة أعادت إلى الساحة نقاشاً عن ضرورة وضع جنوب السودان تحت الوصاية الدولية بعد العجز الفاضح للنخب السياسية، وفشلها في تجاوز صراعاتها حول مصالحها الشخصية والنظر في حلحلة المشاكل التي تواجه الدولة الوليدة.

## ذكرى وتشردم

التاسع من الشهر الماضي، كان يفترض أن تشهد العاصمة جوبا احتفالاً بمرور خمس سنوات على استقلالها. ولكنه كان معلناً من البداية أن الاحتفالات ألغيت بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها البلاد. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل حدث تبادل لإطلاق النار بين مجموعات تابعة لرئيس الجمهورية سلفا كير وأخرى تابعة لثانيه الأول ريكاب مشار، في الوقت الذي كانا يعقدان فيه اجتماعاً مشتركاً. في البداية لم يعرف من الذي بدأ بإطلاق النار، ثم بدأت تتسرب بعض الاتهامات بأن المسألة كانت مدبرة من قبل مجموعة سلفا كير لاغتيال مشار والتخلص من قواته في العاصمة جوبا. بعد ذلك اختفى مشار عن الأنظار معلناً أنه لن يعود إلى جوبا ما لم يتم إخلاء العاصمة من السلاح ودخول قوة ثالثة من الاتحاد الأفريقي لحفظ السلام فيها، وهي الخطوة التي أعلن سلفا كير رفضه لها منذاً مشار بأنه ما لم يعد إلى ممارسة عمله فسوف تتم إقالته من منصبه.

وفي خطوة يتجاهلها التفتت، تعرض معسكر مشار إلى تحركات انقسامية تزعمها تعبان دينق الذي كان المفروض الرئيسي لمجموعة مشار، وتردد أنه لم يكن راضياً عن منصب وزير العمدان الذي أسند إليه في الحكومة، ويبدو أنه انتقل إلى معسكر سلفا كير الذي وجد فيه حليفاً مناسباً للتلويح محل مشار في منصب النائب الأول، لتلقاه العلين المرصودة بجانب انتمائه إلى قبيلة النوير التي يتحدر منها مشار.. ولو أن دينق تحوط بالقول أنه يقبل بالانضام بصورة مؤقتة، وحتى يعود مشار إلى ممارسة عمله.

الأمم المتحدة ومنظمة «الإيقاد» انتقدتا الخطوة ووصفتها بأنها تعقد الأوضاع، خاصة في ظل عدم اعتراف مشار بها وقيامه بفصل دينق من حركته. لكن موقف مشار يزداد ضعفاً، لأن الانقسام السياسي الذي شهدته حركته يمكن أن يفتح الباب أمام انقسامات عسكرية، خاصة وأن أحد أهم قادته العسكريين، بيتر قادي، لا يخفي أجدنته الخاصة.

اتفاقية السلام التي أشرفت عليها «الإيقاد»، بدعم إقليمي ودولي، ركزت على قسمة السلطة بين سلفا كير ومشار، لكن افتقاد الثقة بين هذين الرجلين وتدهور النزاع بينهما لايأخذ بعداً قبيلاً، خاصة أن الأول ينتمي إلى قبيلة الدينكا وهي الأكبر عدداً في جنوب السودان بينما ينتمي الثاني إلى قبيلة النوير التي تأتي في المرتبة الثانية من ناحية الحجم والتأثير.

الاتفاقية تم التوصل إليها في آب/أغسطس من العام الماضي، لكن تنفيذها لم يبدأ إلا قبل ثلاثة أشهر مع تشكيل حكومة الوحدة الوطنية، وما هي تتعرض مرة أخرى.

## الوصاية الدولية

خرج اقتراح وضع جنوب السودان تحت الوصاية الدولية في هذه الأجواء. الاقتراح لم يكن مجرد عصف أكاديمي، وإن كان صدر في مقال كتبه برنستون

ليمان، البعوث الأميركي السابق للسودان وجنوب السودان، بالاشتراك مع كيب الكيست نوبل التي عملت أيضاً مدبرة لوكالة العونة الأميركية في البلدين. ليمن انتقل مستشاراً لمعهد السلام الأميركي ونوبل مدبرة للمركز الأفريقي للدراسات الإستراتيجية، والمؤسسات تملان لصالح الكونغرس الأميركي الذي ينفق عليهما. يقترح الكاتبان خطوات محددة تقوم على الاعتراف بالمشكلة ويعزز القيادات عن إحلال السلام، وأن فكرة قسمة السلطة بين الفرقاء، كما في الاتفاقية التي رعها «الإيقاد»، لم تعد مجدية، بالتالي من المهم خيار جديد يرى الكاتبان أنه يتلخص في تفعيل مفهوم الوصاية الدولية الذي تم تطبيقه من قبل في تيمور الشرقية وكوسوفو. ويضيفان أنه، في غياب حلول سياسية، فإن الإنفاق المالي على تلك البلاد يصبح هدراً، وأشاروا لا انقذته الولايات المتحدة في جنوب السودان منذ 2005، وبلغ نحو 11 مليار دولار، بلا أثر واضح على الأرض الآن، بعد أكثر من عقد من الزمن.

الخطوة الأولى التي يقترحها الكاتبان تبدأ بإبعاد كل من سلفا كير ومشار عن المشهد السياسي، وتقليص قدرتهما وأتباعهما عن تخريب الترتيبات الجديدة، باستخدام

ألساليب الجزرة والعصا والاتفاق من البداية على فترة زمنية معقولة تتراوح بين 10 إلى 15 عاماً يوضع خلالها جنوب السودان تحت إدارة تنفيذية مشتركة بين الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي، بدعم من الدول الغربية التي أولت الوضع في جنوب السودان اهتماماً خاصة وتحديداً الولايات المتحدة وبريطانيا والنرويج وكذلك الدول المجاورة. تستخدم هذه الإدارة موارد البلاد، خاصة من مبيعات النفط، لبناء المؤسسات وتشذيب العنصر القبلي. أحد المتاعب التي يتوقعها هذا السيناريو هي المعارضة التي يمكن أن يلقاها من الطبقة السياسية والعسكرية، ونظرتها إلى الخطوة على أساس أنها نوع من إعادة الاستعمار وخرق لسيادة جنوب السودان. وهنا يقترح الكاتبان أن يتم اللجوء إلى نقاشات معمقة مع بعض الرموز العسكرية والسياسية في أن هذا الخيار أفضل من خيار التدخل العسكري المباشر لوقف حمام الدم الجاري، وكذلك لقطع الطريق أمام تدخل من قبل دول الجوار القوية وخاصة السودان ويوغندا وأثيوبيا، واحتمال أن تقطع كل منها جزءاً من جنوب السودان لحماية لمصالحها الوطنية. ويمضي الكاتبان قداماً ويقترحان إصدار

قرارات من مجلس الأمن بحظر تصدير السلاح إلى جنوب السودان والإشارة أن قرارات حظر بخصوص السياسيين وعقوبات أخرى يمكن أن تصدر بما في ذلك تشكيل محكمة مختلطة للمتهمين بارتكاب جرائم ضد المدنيين إلى جانب تعزيز صلاحيات وقوة حفظ السلام الأممية. سلفا كير رفض من البداية فكرة تعزيز قوة حفظ السلام التي طرحها الاتحاد الأفريقي قائلاً إنهم لن يقبلوا بجندي واحد إضافي على الموجودين، وبالتالي فإن فكرة فرض الوصاية الدولية تحتاج إلى جهد أكبر حتى يمكن تحقيقها بواسطة النخب السياسية والعسكرية في جنوب السودان. لكن بما أن قراراً مثل هذا يحتاج إلى مساندة قوية فإنه من الصعب توقع قيام إدارة أوباما وهي في خواتيم أيامها بالدخول في هذه المغامرة، ونفس الشيء بالنسبة لبريطانيا المشغولة بتبعات خروجها من الاتحاد الأوروبي. وسيدفع هذا الوضع إلى التركيز على ما يجري على الأرض في جنوب السودان وإلى أي مدى ينجح سلفا كير في تقسيم جيئة المعارضين التي يقودها خصمه اللدود مشار وأن دينق الذي كسبه إلى جانبه يمكن أن يضعف من معسكر مشار ويخلق من ثم

حقائق جديدة على الأرض تفرض نفسها على القوى الخارجية. ثم هناك الدور الذي يمكن أن يلعبه الجيران، خاصة الثلاثة الكبار السودان وأثيوبيا ويوغندا، ويلاحظ أن العلاقات السودانية اليوغندية انتقلت من خانة العداء المتبادل إلى حالة من التلطيف بدليل زيارة الرئيس عمر البشير إلى يوغندا لحضور حفل تنصيب رئيسها يوري موسيفيني الذي لم يتردد في استغلال المناسبة للهجوم على المحكمة الجنائية الدولية التي تتهم البشير بارتكاب جرائم في دارفور وأصدرت أمر قبض ببقه، لكن يوغندا الموقعة على ميثاق المحكمة تجاهلت الأمر.

موسيفيني الذي يعتبر أهم حلفاء سلفا كير لساندته له عسكرياً نصح الأخير ألا يدخل في مواجهة مع المجتمع الإقليمي والدولي، وهو ما يجعل الباب موارباً أمام بعض التطورات التي سيحكمها في النهاية مدى التوافق السوداني اليوغندي وما يمكن لسلفا كير وحليفه الجديد من قبيلة النوير تعبان دينق تحقيقه على أرض الواقع.

**السر سيد أحمد**  
كاتب صحافي من السودان، مختص بقضايا النفط

## حين تغيب السياسة عن الدراما السورية

احتشدت المسلسلات السورية داخل وليمة البث التلفزيوني التي أعدتها الفضائيات العربية لمائة شهر الصيام، واجتهد الناس أيضاً طيلة شهر رمضان الماضي في البحث عن صور حياتها الواقعية داخل نسق الصور البصرية التي اقترحتها الأعمال الدرامية عليهم. المقارنة تحدث هنا عن غير قصد، متجاهلة غياب الإنتاج الدرامي الرامية في أصلها إلى اصطلياد انتباه المتفرجين، واقتناص أموال العلين المرصودة لهذه الغاية. تلك القصدية لا تمنع بالضرورة تسلسل الحياة الواقعية العيشة في سوريا إلى فضاءات الأعمال الدرامية ذات الإنتاج المحلي، ليس لأن الواقع أكثر راحة من أفضال تسجين النصوص الدرامية داخل الورق مؤتمرة بنواهي الرقيب، ومتقربة من رؤى السلطة لمسار الأحداث داخل البلاد، بل لأن الواقع يدون نفسه داخل الذكرة الجمعية، وهذه لا يمكن تزويرها مع مرور الأيام، كما أن تخطيها درامياً يطعن بمصداقية تلك المقاربة الدرامية للواقع الموضوعي.

## الواقع في مواجهة الدراما

يتناوب البؤس والقهر منذ أعوام على اقتراح ترجمة يومية للحياة داخل سوريا تشبه إلى حد كبير سرد السيرة الذاتية الخاصة بمأساة، وهذا يجافي أي محاولة بلوغ ذاكرة انتقائية تتجنب الإنزلاق مرة أخرى إلى فداحة الواقع، ومعاينته تراجمياً كحتمية لم تتزحزح من مكانها طيلة خمس سنوات، وهي أخفقت في أن تنعكس مردوداً معرفياً على البنية الفكرية للمجتمع، وهذا بفعل تمكن الأدوات القمعية الرقابية للسلطة تارة، وبفعل ميراث طويل من الخوف تارة أخرى. ولهذا نجد أن الدراما السورية ذات الإنتاج المحلي تخفقت من أحمال الواقع المصوغ سياسياً هذا العام أكثر من الأعوام التي سبقته، غصت النظر عن حياة معتلة من كل جوانبها، فتشافت نصوصها عن سرد الواقع بصورتها السياسية القائمة.

مثل هذا التصلب من تقديم استنتاجات درامية جديدة تجاري حياة السوريين المولمة، يعود في الأصل إلى سقوف انتقائية تحدد نوع الحبكة المستحبة لدى السلطة، والتي يمكن تظهيرها تلفزيونياً على

نحو غير صادم. وهنا تفترض السلطة القائمة أن وفرة في مسلسلات لا تفرع أساس المشكلة يكفي للتخفيف من حدة ورطة النظام في مشاركته إنتاج واقع مأزوم منذ سنوات. يكفي الإطال على نوعية الإنتاج الدرامي داخل سوريا والذي جرى عرضه خلال الموسم الرمضاني الثالث لتبيان نسج الهواجس التي تريد السلطة تمريرها من جهة، أو التي تريد الاكتفاء بها كصيغة ثابتة في المعنى من جهة أخرى. يمكن حشر تلك المضامين الخطابية في سياق بنى تهويمية رثة لا تحترم البنى الواقعية للحياة القائمة، وهذا ليس سببه تشجيع النظام لدراما محلية تجيء إلى مشاهديها من باب الترفيه، بل يشبه الأمر على الأكثر الإفتراء على الواقع. وهذا ظهر في مسلسلات سردت علينا إما حياة عاطفية مأزومة لشخصها مثل مسلسل «بندي مئين الحياكية»، أو أحالتنا إلى حبكة عنف ومطاردة وإثارة مثل مسلسل «دومينو»، أو إلى نمط من الكوميديا الساذجة مثل مسلسل «سليمو وحرمو».

## دراما الواقع تستأثر بالقسوة مخرجاً

تبدلت خيوط نسج الحياة الواقعي في سوريا وألوانه بصورة لافتة خلال الأعوام الثلاثة الماضية. لم يبق المصرون للنظام أسرى أنقباطي أعى صاروا يحسبون أنه قد يصلحهم إلى مشارف الإلغاء القسري، وهم يتلمسون التآكل المرير الذي أصاب قدراتهم الشرائية. ثم أن مواقفهم المؤيدة للنظام تبدلت بعدما قذف الفرز الطبقي الجديد بالكثيرين منهم إلى تحت خط الفقر الأعلى المقدر بنحو دولارين للفرد الواحد يومياً، والكثيرون ملوا أيضاً من ديابات مموجة تسوق لحرب طويلة تبدو عسيرة على الانتهاء، فامتنعوا عن الالتحاق بالخدمة العسكرية، كما ماطلوا في التباطؤ مرادفات واقعية لعنى الوجود داخل سراديب بلد منكوب بالبطالة والعجز والاستهتار بالشان العام. بالقابل ثمة من انتسب إلى التشكيلات الاجتماعية الجديدة التي تبلورت أكثر في لجة الصراع الدائر فأصاب تراء سريعاً من خلال احتراقها للجريمة المنظمة بما تشمله من اختطاف وتهريب وتجارة بالتمتع الجسدية وبصنوف المخدرات أيضاً، تحت رداء من صمت

السلطة.. إضافة إلى الاختلال العميق في التوازنات المصاحبة لتوفير احتياجات الحياة الأساسية، وهذه كلها مستسكات حقيقية على الواقع، الذي تستحق بنية درامية أعمق تكشف جذورها وتعيد لنا سرداً من هناك، قبل أن نكتفي بعد الأوراق المساقطة وكأنها أساس الكارثة ونتائجها معاً. انعكس ذلك ظهوراً خاطفاً ضمنه هذا العام الموسم الجديد من لوحات السلسل السوري الساخر «بقعة ضوء»، الأزمة الوجودية التي تقيض على حياة السوريين هنا لا تحتمل مثل تلك السخرية الخفيفة، ولا تكتفي بها، كما لا يمكن أن تختزل على هذا النحو، إذ لا يمكن الاستعانة بكل جلافة العطب المتراكمة كحصول لسنوات الحرب الشقية، من حق الواقع هنا أن يستحصل على مرجعية درامية تحسّن إعادة تمثيله.

## دراما تتجاوز السياسة بحفّة

إذا اعتبرنا أن السياسة بمقدورها إجراء جراحة أمانة للواقع بغرض فصل مكوناته بعضها عن بعض، ما يتيح لنا فهمه في سياقه الطبيعي، فإن إزاحتها عن لغة السرد الدرامي قد يعطل أدوات الفهم كلياً لدى المتلقي، الذي تراه السلطة في سوريا مجرد كائن مسلوب الإرادة والفكر، يحتاج إلى وجبات دسمة من التلقين المباشر لمواصلة عطلته المشتق أصلاً من مزاج السلطة بشكل عام، ويصل إلى تبييع التعاونين الأساسية للحياة المعاشة بحجة التماس البصري الموضوعي، وبحجة فقدان الحريات العامة، حيث إن النص البصري الذي تؤسسها الدراما التلفزيونية بمقدوره تلوين النص البصري الحقيقي الذي تقدمه الحياة عن نفسها، فتكون بذلك الأزمة السياسية العميقة التي تعيشها البلاد مجرد قفاعة تطفو على سطح الواقع المقترح درامياً. ذلك أن الاقتراح الدرامي لديه قوة حضور داخل منظومة الوعي الفردي لا يمكن التقليل من شأنها كإداة معرفية لإعادة إدراك ذلك الواقع بصورة غير مباشرة، وأخذ موقف إيديولوجي مناسب منه. والخطورة أن يجري استبدال الواقع بالشاهد الدرامي على مهل، وبلا إدراك كافٍ من المتلقي.

تعدّ على أصابع اليد الواحدة الأعمال الدرامية ذات الإنتاج السوري التي فُتحت في جسدها مساماً تنفّس من خلالها السياسة، ولو على نحو مقتضب. والأهم أن تلك الأعمال عرفت منحى بيانياً يشير إلى تراجع سنوي مستمر من حيث قوة المحتوى، ودرجة مصداقيته، هنا يمكن استذكار مسلسل «قلم حمر» من تأليف الكاتبة يم مشهدي وإخراج حاتم علي، الذي عرض في رمضان 2014، وهو سيرة ذاتية تفضح في بعض جوانبها آليات قمع السلطة، والحياة داخل المعتقلات، ثم جاء مسلسل «غدأ لنتقي» وهو تأليف مشترك بين المثليين إباد أبو الشامات ورامي حنا، وأخرجه أيضاً رامي حنا، وعرض خلال رمضان 2015. وحمل مقاربات الوثيقة الدرامية في مقابته لجلية حياة اللاجئين السوريين داخل لبنان، ضمن كل الانتعاشات السياسية الممكنة داخل مسار الحكمة.. لكنها لم تكن على أية حال دراما صادمة للنظام السوري، وإن خرجت عن درب التسطيح المألوف في غيرها من أعمال تلفزيونية. هذا العام حمل مسلسل «الندم» الذي كتبه حسن سامي يوسف وأخرجه الليث حجو، العاجس السياسي على نحو طفيف تكاد السيرة الذاتية لبطله أن تزليه كلياً. نلح فقط العودة إلى استذكار سطوة الأجهرة الأمنية في موضوع الاعتقال السياسي التي عرّجت عليها مشاهد معدودة للغاية، جاءت على هامش السرد الدرامي الرئيسي. كما لم تستأثر التفاصيل العنوية للحياة اليومية المنغمسة في احتمالات الجوع والغلاء وانقطاع الكهرباء سوى بعبور طاف فوق سطح السرد فقط.

تغيب السياسة عن الدراما إذاً، وكأنها لن يلتقيا في سوريا أبداً. يجري تجاهل السياسة وكأنها ليست ضرورة موضوعية لتأسيس سرد مطابق للواقع الجديد، لكنها ليست أيضاً ترفاً في سياق ما سبق، أو تصنيفاً لموضوع العمل الدرامي. هي رؤية متأنية تقي السرديات الدرامية من الإصابة بالفصام.

**أيمن الشوفي**  
صحافي من سوريا

4400 مريض كلي في اليمن حياتهم مهددة بالخطر نظراً لإفتقار

مراكز غسل الكلى الـ28 التي لا تزال تعمل في البلد للمستلزمات الضرورية للعلاج.

## فكرة

### هل تنتصر تونس للمرأة؟

في شهر أيار/ مايو الفائت، سببت زاوية في جريدة تونسية، تحت عنوان «زققة»، للإعلامي هادي السنوسي ضجة في البلاد. جاء في الزاوية: «تحرش» - قال خير صحفي: 90 في المئة من نساتنا ضحايا تحرش في المترو والكار.

قالت العصفورة: قراءة عصفورية تقول أن 90 في المئة من التحرش بهنّ من السببات في ذلك الفعل المشين من خلال الإغراءات المختلفة وتذليل العين.. وأن 90 في المئة من التحرشين هم ضحايا الجذب اللعين. معناها: التحرش بالتحرش والبادئ بالفعل.. أحرش».

أثار هذا الكلام اعتراضاً واسعاً لجهة أنه يُحمل ضحية التحرش مسؤولية التحرش، ويحول المعندي للمقابل إلى ضحية «تذليل العيون»! وهو كلام مبتذل، اعتبرته راضية الجربي، رئيسة الاتحاد الوطني للمرأة التونسية، كلاماً لا يستاهل التعليق والرد، وهو مهين للرجل التونسي كما هو مهين للمرأة.

بموازاة ذلك، كانت الجمعيات النسوية في تونس تعمل في مكان آخر، وتدفع باتجاه مشروع قانون حماية المرأة من العنف، وهو قانون يعمل عليه من خبراء في مجال حقوق المرأة منذ سنوات، وقد وجد طريقه أخيراً للمصادقة من قبل الحكومة التونسية في 13 تموز/ يوليو، بانتظار التصويت عليه في البرلمان.

المشروع (الواقع في 43 فصلاً) يجرم جميع أشكال العنف ضد المرأة: الاقتصادي والمعنوي والنفسي والجنسي، ويهدف للقضاء على أنواع التمييز القائم على النوع الاجتماعي. ويقترح المشروع العقاب وغرامة مالية تقدر بألفي دينار (ألف دولار أميركي) لكل من يتعمد التمييز في الأجر عن عمل متساوي القيمة على أساس الجنس. وينص على إجراء تنفيذ لعدد من فصول المجلة الجزائية وتعويضها بفصول جديدة تتماشى مع المشروع المعروض، ومنها اقتراح العقاب بالسجن مدة عامين وغرامة مالية قدرها 5 آلاف دينار تونسي (2500 دولار أميركي) لمرتكب التحرش الجنسي.

كما يجرم مشروع القانون العنف الواقع من أحد أصول الضحية أو أحد الزوجين أو أحد المرافقين أو أحد الخاطيبين، والمعتدى الذي تكون له سلطة على الضحية، وذلك لضمان حماية المرأة في أي وسط تواجدت فيه، إن كان في العمل أو البيت الزوجي أو بين أفراد عائلتها..

وكما جرت العادة، انقسم رواد مواقع التواصل الاجتماعي بين مؤيد ومعارض. من الإسلاميين من اعترض على «التضييق على الرجل» ومحاسبته بالقانون على «تأديب زوجته»، مثلاً، وهو أمر يناقض باعقادهم ما تسمح به الشريعة. منهم من وجد في القانون مادة للتندر، فامتلات الصفحات بالنكات المستهزئة التي تسطح للوضع وتفرغ من مغزاه الحقيقي، من قبيل (سمعنا أن «بسبست» تعادل 3 أشهر في السجن، و «محلها صورة بروفايلك» تؤدي إلى الأشغال الشاقة. ماذا لو سألت فتاة «ماذا لتبسين لذي الفتى؟).. فيما تسائل آخر عن «الأولويات» المتعلقة بحماسة المرتشئين والفاسدين، قبل التحرشين والمعتفين، كان الموضوع ليس طارئاً ويحتمل التأجيل.. في بلد تظهر فيه الدراسات أن 8 من 10 من نساته يتعرضن لنوع من أنواع العنف في مكان عام (وسائل النقل العمومية، الشارع، المقهى..).

لكن تحريحاً واسعاً أحاط بالخير من جهة ثانية، وأعيدت إلى التداول مقولة أن تونس هي «الاستثناء العربي» في مجالات حقوق المرأة، والتذكير بريادتها في هذا المجال، والسفر والتعلم منذ عهد الحبيب بورقيبة الاحتفال التونسي انتقل لصفحات باقي الناشطين في الدول العربية الذين شاركوا الخبر بفرح وحسرة على حال المرأة في بلدانهم (مصر مثلاً). صارت تونس النموذج الذي ينبغي أن يحتذى. والقانون الذي يأخذ طريقه إلى النفاذ، رغم كونه خطوة كبيرة إيجابية في تحسين وضع المرأة التونسية، إلا أنه أقل ما يجب أن يكون لإرساء الحقوق الأساسية: تحقيق المساواة واحترام الكرامة الإنسانية.

### صباح جلّول



## استراتيجية «العوام» لإدارة العراق



إياد القاضي - العراق

على المجتمع العراقي، أخذت تنتج في عراق اليوم وعياً مختلفاً في الشارع الذي يحنج كل أسبوع، وهو ما يدفع الكثير من العراقيين إلى إعلان استراتيجيات تنجني البلاد من مهالك الرضوخ للآخر: «أحنا والمجاور..» خليتنا نسد باب بيتنا على روحنا ونسوي تبادل تجاري قليلة ماضية فكرة التبعية لقرار الخارج، لاسيما عندما كان بطلا هذه الحكاية يمسكان بالسلطات العليا في البلاد: البرلمان برئاسة أسامة النجيفي المقرب من السعودية وتركيا وقطر، والمالكي المقرب من إيران ومحور دولها.

أنداك، في الأيام التي كانت تنقل الانتخابات البرلمانية، وإبان تشكل الحكومة العراقية، تبدأ الكتل السياسية بترتيب طوابير طروق أبواب السفارات والسير إلى العراقيين بعيداً عن الصراع مع دول الجوار أو التبعية إلى القوى العالمية، ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية. سياسة تقوم على احترام القرار الداخلي. في ظل كل هذا تبدو حلول «العوام» (على ما يحب بعض الساسة والمثقفين تسمية الناس البسطاء)، أكثر نجاعة من كل أفعال الأحزاب والكتل السياسية، خاصة وأن العراق تجاوره بلدان تطمح بريعه وسوقه، فضلاً عن أرضه التي كانت محتلة من قبل امبراطوريتين هما الفارسية والعثمانية، علاوة على السعودية التي غزت مراحده المقدسة في وقت من الأوقات. وجميع هذه الدول لا تخفي طمعها بعودة كره أفعالها لو أتاحت لها الفرصة مجدداً، لكن أي درك من «العيب» بلغه العراق ليصبح سكانه خائفين إلى هذه الدرجة من اقتطاع أرضهم، أو تمرير تصدير مشكلات دول الجوار إليه؟ وأي «عيب» ترتكبه الأحزاب السياسية العراقية حتى وصلت مرحلة صم الأذان حين تنادي تظاهرات بكف يد دول الجوار والقوى الكبرى عن التدخل في شؤونهم بينما ترضخ هي للاعتذار؟ لـ «العوام» أيضاً وجهة نظرهم، وهي وجهة نظر منطقية وسلمية حتى وإن كان ليس فيها الكثير من الأعب السياسية: إعادة العراق لأصحابه.. هؤلاء الذين يعرفون مصلحة البلاد أكثر من الساسة الذين يحقرونهم.

### عمر الجفّال

كاتب صحافي من العراق

والأحزاب والتيارات السياسية العراقية، في غالبا، تستقوي بهذه المحاور، وهناك قلة قليلة ناجية من هذا العراك، وإزاء هذا الأمر، لا يمكن رسم سياسة واضحة لتحرك العراق الرسمي. وقد توضح نظرة إلى سنوات قليلة ماضية فكرة التبعية لقرار الخارج، لاسيما عندما كان بطلا هذه الحكاية يمسكان بالسلطات العليا في البلاد: البرلمان برئاسة أسامة النجيفي المقرب من السعودية وتركيا وقطر، والمالكي المقرب من إيران ومحور دولها.

أنداك، في الأيام التي كانت تنقل الانتخابات البرلمانية، وإبان تشكل الحكومة العراقية، تبدأ الكتل السياسية بترتيب طوابير طروق أبواب السفارات والسير إلى العراقيين بعيداً عن الصراع مع دول الجوار أو التبعية إلى القوى العالمية، ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية. سياسة تقوم على احترام القرار الداخلي. في ظل كل هذا تبدو حلول «العوام» (على ما يحب بعض الساسة والمثقفين تسمية الناس البسطاء)، أكثر نجاعة من كل أفعال الأحزاب والكتل السياسية، خاصة وأن العراق تجاوره بلدان تطمح بريعه وسوقه، فضلاً عن أرضه التي كانت محتلة من قبل امبراطوريتين هما الفارسية والعثمانية، علاوة على السعودية التي غزت مراحده المقدسة في وقت من الأوقات. وجميع هذه الدول لا تخفي طمعها بعودة كره أفعالها لو أتاحت لها الفرصة مجدداً، لكن أي درك من «العيب» بلغه العراق ليصبح سكانه خائفين إلى هذه الدرجة من اقتطاع أرضهم، أو تمرير تصدير مشكلات دول الجوار إليه؟ وأي «عيب» ترتكبه الأحزاب السياسية العراقية حتى وصلت مرحلة صم الأذان حين تنادي تظاهرات بكف يد دول الجوار والقوى الكبرى عن التدخل في شؤونهم بينما ترضخ هي للاعتذار؟ لـ «العوام» أيضاً وجهة نظرهم، وهي وجهة نظر منطقية وسلمية حتى وإن كان ليس فيها الكثير من الأعب السياسية: إعادة العراق لأصحابه.. هؤلاء الذين يعرفون مصلحة البلاد أكثر من الساسة الذين يحقرونهم.

على العملية السياسية، فضلاً عن الاستقلال الذي انتزعه من الولايات المتحدة الأميركية، لم يبد خجلاً من إعلان أن قوى خارجية هي التي أبعدهت عن منصبه، ولم يشكك أبداً من هذا التدخل بقدر شكواه من أن أطرافاً عراقية تحاول «عرقلة» العملية السياسية، وإذا ما كان المالكي المعروف بعنجهيته قد قال هذا الأمر متأخراً، فإن سياسة آخرين مثل إياد علاوي أو أحمد الجلي وغيرهم كانوا قد أعلنوا مراراً، ومبكر، عن تعاونهم مع مخابرات دولية، إضافة إلى شكواهم من ترك الإدارة الأميركية لهم عرابة من الدعم بعد أن وجدوا جهات أخرى في البلاد أقرب إلى تنفيذ أجنداتها منهم، وهو الذي أدى، بطبيعة الحال، إلى عدم حصولهم على مناصب عليا في الحكومات المتعاقبة على حكم البلاد.

### إقصاء التنوع

كانت محاولة نظام صدام حسين تعريب القوميات العديدة في العراق على أساس أنه قومي عربي وحزبه يفرض إرساء هذا الفهم والهوية، بالقوة على القوميات الأخرى، واحداً من الأساليب المدمرة التي أعملت في صلب المجتمع العراقي المتنوع ودمرت صيبته الغربية هذه، إلا أن المالكي، وآخرين، الذين اعتبروا أنفسهم مغايرين للنظام البائد، أعلنوا أن العراق في صراع مع محور العربي السنّي، ألفي المالكي، والجال هذه، أدبنا وطوائف كما ألفى صدام قوميّات، فالمجاور التي تقوم على طائفة أو دين، لا يمكن لها أبداً أن تكون محاور عدالة لبلد متعدد، ولا يمكن لها أن تؤسس إلا لنزاعات تقود إلى الخراب. ولم يستمر الأمر طويلاً بعد الحديث عن المحاور ذات الصيغة الطائفية، ليعن المالكي مجدداً أن «المحاصصة الطائفية» دمّرت البلاد، وأن الأوان قد آن لتشكّل كتلة سياسية عابرة للطوائف! وفي الواقع، لا يبدو المالكي شاذاً أبداً عن قاعدة العمل السياسي المتبعة في العراق، بكل تناقضاتها وكذبها. إذ أن أطرافاً سياسية أخرى لا تجد غضاضة من إعلان دفاعها ووقوفها إلى جانب المحور الآخر: العربي السنّي. هكذا، تتعارك المحاور الإقليمية في بطن العملية السياسية. كل طرف يحاول جر البلاد إلى المحور الذي يمنحه صك البقاء منافساً في العمل السياسي.

تحمل مفردة «عيب» في القاموس العراقي المحكي معنى يتجاوز مجرد النهي عن فعل سيئ إلى التذليل على ارتكاب فعل شنيع ومخز، فيقال هذا كلام أو فعل عيب في حال كان الفعل فظلياً لدرجة لا يمكن تصديقها. لذلك كله لم يجد العراقي في الآونة الأخيرة أبلغ من الـ «عيب» في وصفه للواقع السياسي الذي يعيشه بلده، ليس في إشارة للفساد الذي يفود سكان البلاد إلى المقاتل فحسب - والفساد هو عنوان عريض للأمراض السياسية المتشعبة في العراق - بل أيضاً في استنكاره لتبعية بلده إلى الخارج، وهو الذي هدمه الاحتلال وإرثه الموبوء. فهم السياسة بمعناها وبقشرتها، والإحاطة بأمورها، هو أحد لوازم ميويمات العراقي في بلده اليوم، وإن يكن رأيه بعيداً عن صنع القرار فذلك لا يعني عدم تشكيله لرؤية قد تكون منقذاً لبلد يغرق في فوضاه.

### القرار المفروض

هكذا لا يستوطن الوهم لدى أي عراقي منذ 2011 بأن العراق بات سيد ذاته بعدما انسحبت منه قوات الاحتلال، فيؤشّر المجتمع العراقي اليوم، دون أي ارتباك، إلى خريطة تبعية الأحزاب إلى هذه الدولة الإقليمية أو تلك القوة العالمية، وبإمكانه أيضاً أن يشرح خطوط العلاقة التي تربط الطرفين، وما الذي فعلته دولة ما لصالح حزب ما، وكيف مدت بعض الأحزاب دولاً بالمال من خلال صفقات مع المؤسسات الرسمية الحكومية، وكيف رد المال إليها سلاحاً، أو كيف حصل العكس، بمدّ دولة لتيار سياسي بالمال لخوض انتخابات أو لتمرير قانون. لدى العراقي وعي كامل بكل ما يجري في العراق، ويبدو أن هذا الأمر رفع الحرج عن نوري المالكي، رئيس الوزراء السابق، في الإجهار بأنها لم تكن قوة سياسية محلية تلك التي حالت دون بلوغه الولاية الثالثة في المنصب الذي اشتهاه لأربع سنوات أخرى بعد أن سيطر عليه لثمان سابقة، وإنما رفض إقليمي ودولي.

هكذا لم يبد على المالكي الخجل أبداً في اللقاء الذي بثّ على شاشة محلية واستمر لساعة يتحدث عن الوطنية والحرص على البلاد وضرورة الديمقراطية والحفاظ

## شيخنا والكمنجة



ذات ليلة قرر شيخ عشيرتنا أن يتعلم عرق الكمنجة.

أزلامه تطيح أعداء العشيرة في مشارف القرية، وهو ينددل رجليه من أعالي البيوت ويوزن الكمنجة ويقبلها. لم يتجرأ على إصدار نغمة واحدة. لم يضع القوس على الأوتار. نسمعهم يقلبها أحياناً ويستعمل ظهرها ليطلبل عليه. ظل يطبل على قفا الكمنجة لإسبايع، يطبل والمركة تقترب منه ورجاله ينقصون وينقصون.

لكن القرية لم تخل من الرجال. المركة عندنا لا تأخذ الرجال، إنها تسوق النساء وتلسرهن كـ «فصليات» (جزء من التنسوية) في مقايضات العشائر.

ظل يجرب إخفاء أصوات الرصاص بالتطليل على كمنجته، ويشتكى بأنه محتاج إلى معلمة فرنساوية لتعلمه، بينما صفير الرصاص يلعلع ويوجد مستقره في جذوع النخل. أصبح شيخنا مع موسيقاه الزمجة أكبر شيء يؤدي مسامعنا ويجعلنا نضطرب من الضوضاء.

حينما انقضت الحرب استمر هو في العزف، أو التطليل للعزف. قلنا له لم تعد هناك رصاصات تصفر لتخفي صوتها. لكنه أنكر علينا ذلك وتذمّر من اتهامنا له بالإزعاج، وظل مواظباً على التطليل لأنه يسمع صفير الرصاص وحده، كما لو كانت الحرب ما زالت متقددة من أجله فقط وتمنحه عرضاً خصوصياً. حاولنا بلا فائدة إقناعه بأن هذا ليس صفيراً إنما نجيب الجدات والخالات والعمات على ذويهن، فلابهات يصدرن صوتاً غير ذلك.

بعد شهرين تأكدنا أن شيخ عشيرتنا خرف وأكلت عقله الجنينة. ثم لما مات قرأنا في وصيته بأن أول شيء فعله هو دفن كمنجته معه، وعلينا أن نجد حل لجذوع النخيل المتقوية ونكتب في سيرته العظيمة عن أثره وكرمه وشجاعته وضخامته وهيبته والحنان المهرفة الطروية التي يؤلفها!

وحالما دفناه وثقنا التراب على الكمنجة المبسوطة على صدره، وجدنا أنفسنا في حالة وجد وطرب. إنها لذرات التراب إذا سقطت على الأوتار تصدر نغمة عذبة، بل هي أعذب ما عرفه شيخنا على الإطلاق.

## عن العدالة الاجتماعية المُغيّبة

من راعمة الروائي العراقي الراحل الحاضر غائب طعمة فرمان «الأم السيد معروف» يحضر هذا الحوار الدال:

● معروف (بطل الرواية)

- أنا أرض جدياء.. صحراء..

- الصحراء الآن أثنى من الأرض الخصبة.

- أنا الربيع الخالي.

● ضحكوا. قال السيد عبد اللطيف:

- ومن قال لك لا يوجد نطف في الربيع الخالي؟ جزيرتنا

العربية سفينة عائمة على نطف.

- حسناً. أنا حقل نطف ناضب.. جاف..

ماذا يعني أن يُؤيد الإنسان في ذاته وعبر ثقافته العامة انعدام الجدوى والأمل من أي رضاء؟ ما الذي يدعو الإنسان في منقلبنا إلى الشعور بعدم الثقة في دوام حال الاستقرار والتعمق بمرات الأرض؟ إعادة إنتاج الإحباط قبل بلوغ مراحل اليأس والفقر. من المسؤول عنه؟ التسابق في استدامة قهر الإنسان وهدر طاقاته ووزر من؟ الإصرار على الوسائل البائسة نفسها والحلول الضارة نفسها والفاقة للخيال. من يتحمل مسؤوليته؟ كل ذلك لا يستوجب علينا معاودة طرح سؤال العدالة الاجتماعية فحسب. بل والاستمرار في البحث فيها وسبر موقاتها. لأن يسطر عدالة اجتماعية كافلة لحد لائق ومعقول من الحياة في منقلبنا. هو الضامن الأبرز لكرامة الإنسان واستقرار الأوطان.

ما التعريف؟

ليس من السهولة تقديم تعريف محدد وجامع لمفهوم العدالة الاجتماعية. فهي كثيرها من القيم الإنسانية الجذابة والمقدرة وقعت في أسر السياسة المتعشيشين للسلطة. وتناهت أبقوا أصحاب رؤوس الأموال السكونيين بإدامة أرصدتهم وضمن هبنتهم ونهبهم للثروات. والوطن العربي لم يكن استثناء من السياق العالمي لحركة رأس المال. ورحلته الطافرة للسيطرة والتحكم بمصائر الأفراد والدول. ولأن المفهوم إشكالي ومتنفس نظرياً وعملياً. فإن أغلب التيارات والأحزاب توظفه لمصلحة بقاها وتوسيع شبكات منافعها. متناسية أن محور العدالة الاجتماعية هو كرامة الإنسان. وأن نشدان هذه الكرامة يستوجب بالضرورة ضمان منافعها واستدامتها لمدد طويلة وراسخة.

الليبرالي على سبيل المثال لم يتجاوز النظر للعدالة الاجتماعية في أكثر من كونها وسيلة لتحسين معيشة الفقراء. داخل النظام الرأسمالي وداخل فكرة ديمومة هذا النظام والإطمئنان له. فهم كهدا. ترجمته ممارسات التيارات القومية. وحتى الاشتراكية العربية في مرحلة ما بعد الاستقلال في خمسينيات وستينيات القرن المنصرم.

وهي لم تبذل جهداً هيكلياً كما ينبغي لدحر الفكرة الأخطر للمستثمر الخارجي، الاستبعاد الاقتصادي، القائمة على نهب الثروات وهيمنة الطبقات المالكة لرأس المال؛ على العكس تماماً. قامت بمهمة الوكيل المؤتمن والجندي المخلص للسلطة المستعمرين وهم في مكائهم ومصانعهم في عواصمهم الأوربية والأميركية. وهنا بإمكاننا التذليل على ذلك بما حدث ولا يزال لزراعة القطن والقمح والزيوتون في مصر والسودان والجزائر وسوريا. وبالثروة السمكية في المغرب. وبشكل أكثر وضوحاً والنزاع في دول الخليج. الإسلاميون لم يكونوا استثناء من هذا المسار أيضاً. فهم لم يفعلوا أكثر من الإبقاء على التكوين القائم، والأخطر من ذلك أنهم سعوا إلى شراكته وضمن ثماره لتعزيز سيطرتهم السياسية والاجتماعية. رأينا ذلك في وعود حكومة «الحرية والعدالة» القصيرة بعد ثورة يناير 2011. في مصر. وبشكل أوضح في ممارسات وعلاقات وشراكات «النهضة» في تونس وقبلها السلطة «الإسلاميسكربتارية» في السودان.

ويبدو من كل هذه الأمثلة أن العدالة الاجتماعية لا تزال من أبرز ضحايا الاستقطاب العربي المُغضَل والقائم على انشغال العرب وتطاحنهم الأيديولوجي والعسكري بين دولة مدنية لا تحترم التمدن ولا تستغل على إقامته وحماية حقوقه وأجباته، وبين دولة دينية تعيش على أوامم خلافة خلت. وأجاد دول مضت. دون الاكتراث لواقع الإنسان البسيط، المطحون سياسيات اقتصادية تابعة لآلة رأسمالية عملاقة. عابرة للحدود. لا ترى في هذا الإنسان أكثر من أداة يُعاد تدويرها وامتناع مواردها المحدودة. بينما لا يطمح هذا الإنسان، من كل ذلك في أكثر من عمل كريم يكفل له الخبز ويدرا عنه الخوف.

ما يحدث اليوم من تخبط تقوده السلطات المركزية المحتكرة لصناعة القرار في بلداننا لا يخرجها من المأزق إلا لتوريطها في مأزق أخطر ومزلق أعمق. فالطريق إلى العدالة الاجتماعية والحياة الآمنة المستقرة لا يمر عبر بوابة منظمة التجارة الدولية ولا عن طريق اتباع وصفات الصندوق والبنك الدوليين. على العكس تماماً. فهذه المؤسسات ما هي إلا الوجه الجديد للاستعمار القديم الذي خرج من الباب ودخل من النوافذ. المُنقذ. في المقابل، ليس مستحياً. لكنه صعب. صعوبته أيضاً ليست مكلفة مقارنة بمواقب إهماله أو الإبطاء به وتسوييف بلوغه. بكلمة بسيطة. النقذ هو تمكين الشعوب من قرارها ومصائرنا.

وبما أن حال السيطرة والاحتكار والتحكم بمصائر وأرزاق الناس قد أوصلنا إلى هذه المرحلة. مرحلة الأفق المسدود. وبالأتقان الباهظة. فلم لا «نجرب» الحل الآخر الذي لطلنا هربنا منه، إما خوفاً من السيف أو طمعاً في الذهب. نجزيه بمعنى نحتاج إليه بداية. ونفتنح به. لماذا لا زلنا نُصّر على حماية الفساد، ونبخل على بناء شبكة أمان اجتماعي؟ لماذا

نسييد سلطان الهاشمي

باحث من عُمان

3 مليون هندي يعيشون في السعودية سرّح عشرات الآلاف منهم من أعمالهم نتيجة الأزمات التي تمر بها الشركات جراء انخفاض أسعار النفط، من دون أن يعطوا متأخرات معاشاتهم، ولا تذاكر عودة ليلدهم. ولا حتى ما يشتررون به الطعام، ما دفع الحكومة الهندية إلى إرسال مساعدات غذائية إليهم، ومناشدة سائر أفراد الجالية الهندية هناك بمد يد العون لهم.

جواد سليم / العراق

حلم..



arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»

- بورترية لصحافيات ومصورات من مصر (2) - منى سليم

- طقوس الزواج بالجزائر - محمد مرواني

- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi

- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

## جبال أطلس في المغرب



(تصوير: مصعب الشامي - مصر / AP)

نساء أمازيغيات يغسلن الثياب على ضفة ينابيع «أم الربيع» في بلدة خنيفرة



أرزو، جنوب مدينة فاس، قرية أمازيغية أسفل تلّ من غابة أرز. بقي سكانها - رغم الظروف البيئية القاسية - أوفياء لمكان سكنهم، ولعاداتهم وتقاليدهم.

## نداء لجمع دليل للمساجين في مصر

محتاج مساعدتكم. يجمع دلوقتي دليل للنصائح العملية اللي ممكن يستفيد منها أي حد هيدخل السجن في مصر للمرة الأولى.. ده مش تقرير عن شهادات السجناء السابقين عن التعذيب أو سوء المعاملة.. وفي نفس الوقت مش مطلوب كتابات مؤثرة عن الحرية والظلم والثورة والسياسة الخ. المطلوب إن الناس اللي دخلت السجن تنقل خبرتها للي لسه هيدخل لو كانت اتعلمت حاجات معينة أو طلعت بخبرات أو مرّت بمواقف لو كانت تعرفها قبل ما تدخل السجن كانت هتسهل عليها التجربة (... دي بعض الأمثلة التوضيحية للأسئلة:

.. تجربتك مع الزيارات ومواعيدها. التعامل مع الملل وسبل تضييع الوقت.. الألعاب المتاحة أو المرتجلة أو المنوعة. التريض.. في حالة أتيج لك التدريب المهني أو العمل بأجر كجزء من برامج التأهيل في بعض السجون احكي لنا عنها. كان عندك سرير وإلا مرتبة وإلا بطانية وإلا عابلاط. التعامل مع الحر الشديد والبرد الشديد.. تجربتك مع المرض داخل السجن.. الخ

ترسل الإجابات على عنواني hassambahgat1@gmail.com في أقرب فرصة ممكنة ومرة ثانية أعد بالالتزام حماية خصوصية الرسلين وسرية هوياتهم (...) شكراً جزيلاً وربنا ما يكتبها على حد.

من صفحة Hossam Bahgat (عن فايسبوك)

## هل يخسرون؟!

في الفترة القصيرة الأخيرة، مرّت أحداث عديدة في اليمن تنوعت بين أخبار جيهاث القتال. تشكيل المجلس العليا للأمن والسياسة في عدن وصنعاء بالترتيب. خطابات القادة السياسيين كصالح والحوثي، وغير ذلك. لكن الملاحظ أن لا اهتمام شعبي كبير قد استقبل ذلك النوع من الأخبار والأحداث. على الأقل، لم يكن كبر الاهتمام بالأخبار السياسية كما كان من قبل، وبمكنا القول إن اهتمام الناس قد قلّ، قل فعلاً.

أظن أن الناس لم يعودوا أبهين بأخبار لا تخصهم، بأخبار النخبة السياسية وصراعها بالتحديد. وأظن أن الناس قد أصبحوا غير مستعدين لسماع أية أخبار لا تنقل إليهم التقدم نحو اتفاقية السلام ووقف الحرب مثلاً. أصبح الناس أكثر اهتماماً بما يمسه عيشهم وأمنهم، لذا تجدون أن الخير الأبرز في عدن هو وصول مولدات الكهرباء، والخير الأكثر انتشاراً في تعز هو تفجير المساجد التاريخية. أصبح الناس أكثر وعياً بضراوة الانتهاكات التي يتلقونها يوماً بعد الآخر نتيجة صراع النخب السياسية وحربها.

أتمنى أن تكون ملاحظتي صحيحة. وأن تكون مؤشراً يُنبئ بخسران السياسيين مكسبهم الهشة. تلك التي حصدها جراء حربهم على اليمن.

من صفحة وميض شاكر (عن فايسبوك)

## مدونات

## النائب يريد إلغاء مجانية التعليم!

الطالب العراقي وحسب زعم النائب علي الأديب يكلف الدولة 13 مليون دينار. وهذا هدر لأموال الدولة حسب رأيه. ونسي الأديب أنه يكلف ميزانية العراق 386 مليون دينار سنوياً. وحمايته تكلف الدولة 285 مليون دينار سنوياً.. أليس هذا هدراً لأموال البلد سيدي النائب الحالي والوزير السابق؟

ألا تعلم سيدي، أم أنت تعلم وتفطن النظر عن بلدي الذي غرّته عصابة وسرقت كل أمواله وهزبتها إلى الخارج باسم السياسة وتحت ذريعتها؟

وكلّ هذا النهب لم يقف بعينك إلا مجانية التعليم! أصبحت حسب رأيك سبب العجز المالي في ميزانية البلد!! اتقّ الله..

من صفحة عبد العالي حسين اللهيبي (عن فايسبوك)